The pragmatics of stopping and starting in the Holy Qur'an The semiotics of speech acts

M . Dr . Hamad Adal Nasser
Al-Muthanna University / College of Basic Education
E-mail: Hamed.a.naser@mu.edu.iq

Abstract:

The research aims to find the possibility of adapting the modern lesson, especially pragmatic linguistics. To keep pace with the methodology of the Arab heritage, the choice fell on studying (Stops and Initiations in the Holy Qur'an), so the research came under the name (Pragmatics of Stops and Initiations in the Holy Qur'an/Semiotics of Speech Acts). As for the research plan, it was as follows: An introductory introduction in which I dealt with linguistics.

Pragmatics: origins, levels, and concept. In it, I dealt with the origins of pragmatics, and its relationship to the philosophy of analysis at times and semiotics at other times. Then, I looked at the levels and degrees of pragmatics, then pragmatics as a term and concept, and after that I dealt with speech acts and the circumstances of their origin. After that, I defined the pause linguistically and conventionally, and then I employed the work of speech acts. Sometimes at the level of semiotics, and at other times at the level of achievement, which I took as a space for applying the stop and start according to scholars of readings and interpreters, then the conclusion of the research, results, sources and references.

Key words: Pragmatics, Semiotics, Speech Acts, Pause, Initiation

تداولية الوقف والابتداء في القرآن الكريم / سيميائة الأفعال الكلامية

م.د. حمد عدل ناصر
جامعة المثنى ــ كلية التربية الأساسية
E-mail: Hamed.a.naser@mu.edu.iq

الملخص:

يروم هذا البحث إلى إمكانية تطويع الدرس الحديث ، ولاسيما اللسانيات التداولية ؛ ليواكب منهجية التراث العربي ، فوقع الاختيار على دراسة (الوقف والابتداء في القرآن الكريم) ، فجاء البحث باسم **(تداولية الوقف والابتداء في القرآن الكريم / سيمياء الأفعال الكلامية)** ، وأما خطة البحث فجاءت على ما يلي : مدخل تمهيدي تناولت فيه اللسانيات

التداولية : النشأة والمستويات والمفهوم ، فتناولت فيه نشأة التداولية ، وعلاقتها بفلسفة التحليل تارة والسيمياء تارة أخرى ، ثم وقف على مستويات التداولية ودرجاتها ، ثم التداولية مصطلحا ومفهوما ، وبعده تناولت الأفعال الكلامية وملابسات نشأتها ، بعد ذلك عرَّفتُ بالوقف لغة واصطلاحا ، ثم وظفتُ عمل الأفعال الكلامية تارة على مستوى السيمياء ، وأخرى على مستوى الإنجاز الذي اتخذته مساحة للتطبيق على الوقف والابتداء عند علماء القراءات والمفسرين ، ثم خاتمة البحث والنتائج ، والمصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحية : التداولية ، السيمياء ، أفعال الكلام ، الوقف ، الابتداء

مدخل تمهيدي / اللسانيات التداولية : النشأة والمستويات والمفهوم

أ ــ نشأة التداولية ومستوياتها

أولا ـ التداولية وفلسفة التحليل

إن موقف فلاسفة التحليل من اللغة لم يكن على نمط واحد ، فالمدرسة (الأنجلو سكسونية) تنظر إلى اللغة بأنها كيان متحرك يحركه الاستعمال الاجتماعي ، وأنك لا تستطيع الوقوف على قصد المتكلم خارج سياق الاستعمال . وتمتد جذور هذا الاتجاه إلى الفلسفة (الكانطية) التي تؤكد على صلة الإنسان باللغة وأنها عامل أساس في تحليل ما يقوله . وأما الاتجاه الإغريقي الكاثولوكي ، فهو اتجاه تجريدي ذهني ينظر إلى اللغة بمستواها الذهني البعيد عن واقع الاستعمال [١] .

وكان الاتجاه الأول ـ الأنجلو سكسوني ـ من أهم بدايات التفكير التداولي بعد أن فصل الفيلسوف الألماني فريجه (g.Frege) (١٨٤٨ ــ ١٩٢٥م) بين اللغة العلمية واللغة العادية التي تتصف بالتعددية واحتمال أكثر من معنى ، في حين وصف اللغة العلمية بأنها لغة فنية يخترعها العلماء لتعريف ما يكتشفونه من وقائع جديدة [٢] ، وهذا يحملنا إلى الاعتقاد بأن اللغة العلمية عبارة عن مجموعة اصطلاحات فنية لم تخضع للسياقات .

وهذا التصنيف الثنائي ، إلى لغة علمية وأخرى عادية يعده اللسانيون الخطوة الأولى للتفكير التداولي ، وأن اللغة تتأثر بتغير الاستعمال الذي أسماه الفيلسوف الإنجليزي (فتينكشتاين) " ألعاب اللغة"[٣]، قبل أن يبدأ (ج أوستين) ، وتلميذه (ج سيرل) ببناء منظومة الأفعال الكلامية بوجهيها المباشرة وغير المباشرة .

ثانيا ـ التداولية والسيمياء

بعد انفتاح البحث اللساني على فلسفة التحليل ، والنحو التحويلي تكون التداولية قد مرت بعدة مراحل لتصل إلى المرحلة التي هي عليها الآن بعد أن كانت التداولية جزءا من السيميائية التي تبناها كل من السيميائيينِ : (بيرس ، وموريس) ، فأسهم بيرس في وضع جذور التداولية انطلاقا من رؤيته أن الفكر والعلامة غير منفصلين ، فلانستطيع الوصول إلى أفكار الآخر إلا من طريق العلامة [٤] . وكان ذلك عبر مساهمته في التركيز على ثلاثة أمور : (الدال ، والمدلول ، والمرجع /المؤول) أي : المادة الدالة المكونة من حامل ومحمول ، والمدلول المتلبس به الدال ، والمرجع ، أو العنصر التأويلي ، ثم إن ارتباط العلامة بالمدلول لم تكن على درجة من المطابقة ، بل تزيد وتنقص على العكس من المعنى الحرفي غير القابل للزيادة والنقصان [٥] .

ثم يتسع نطاق السيميائية على يد (موريس) لتشمل (العلم) باحتسابه علامة تتوحد فيها كل المقاربات ، اللسانية والمنطقية والسيكولوجية والبلاغية ، يضاف إلى ذلك كون هذه العلامة غير مشروطة بالوجود المحسوس ، بل لها القدرة على حمل أشياء خارجة عن حواسنا [٦] .

انطلق مورس من نظرته السيميائية التي اختزلها من العلاقة بين الملفوظ وما يلابسه ، فإن كانت العلاقة بين العلامات فيما بينها ، فهي الدلالة التركيبية / النحو بمعناه الواسع ، وإن كانت تلك العلاقة بين العلامات وماتؤل إليه فهي الدلالة ، وإن كانت العلاقة بين العلامات ومستعمليها فهذه هي التداولية التي تعني بمفهومها الواسع " دراسة اللغة في الاستعمال " . وهكذا تتبلور التداولية عند موريس ، إلا أنه اقتصرها في الإشاريات : ضمائر التكلم والخطاب وأسماء الزمان والمكان (الآن ، وهنا) مدلولا عليها بالسياق [٧] .

ثالثا ـ مستويات التداولية

هو تصنيف بنائي ناظر إلى الخطوات التي سلكتها التداولية في طريقها نحو مرحلة الاكتمال والنضج ، فيصنفها إلى ثلاثة أصناف :

١ـــ تداولية الدرجة الأولى : أو المستوى الأول وهذه تتمثل بـــ (الإشاريات) : الشخصية والمكانية والاجتماعية .

٢ـــ تداولية الدرجة الثانية أو المستوى الثاني ، ويمثلها (أفعال الكلام : المباشرة وغير المباشرة) .

٣ـــ تداولية الدرجة الثالثة أو المستوى الثالث وهي (متضمنات القول ، ومنها : الاستلزام الحواري ، والافتراض المسبق) . فأما الإشاريات فهي من نتاج السيميائيين ، وأما أفعال الكلام ومتضمنات القول ، فهي من جهود فلاسفة التحليل.

ب ـ التداولية المصطلح والمفهوم

يرى البحث أن الوقوف على إشكالية المصطلح والمفهوم أمر هام ، وهذه الإشكالية تتمثل في التداخل الذي يحصل بينهما عند الترجمة ونقل المصطلح الإنجليزي (**pragmatics**) ، من اللغة الأم ليوضع له مقابلا ترجميا في لغتنا العربية ، فالإشكالية تحصل أحيانا في الخلط بين المقابل المصطلحي والمقابل المفهومي ، بمعنى أن تعريف التداولية مصطلحا يختلف في بعض جوانبه عن تعريفها المفهومي.

أولا: التداولية مصطلحا ، إن تعدد تعريفات التداولية أدى إلى عدم اتفاق اللسانيين العرب على وضع مقابل للمصطلح الإنجليزي (pragmatique) في لغتهم العربية ، فمنهم من يطلق تسمية (البراجماتية) ، (النفعية) ، والفعلياتية ، و(المقامية) وغير ذلك [٨] ، إلا أن مصطلح (التداولية) الذي اختاره الدكتور طه

عبد الرحمن دون سواه هو الأقرب إلى واقع الاستعمال اللغوي [٩] ؛ وذلك لوجود المقاربة بين الجذر الأنجلو سكسوني (pragma) الذي يعني (العمل) ومقابله العربي (د و ل) الذي يعني الانتقال ، والتحول كما جاء في المعجمات العربية ، ذكر ابن منظور في لسان العرب " تداولنا الأمر أخذناه بالدول ، وقالوا: دواليك ، أي : مداولة على الأمر ... ودالت الأيام ، أي دارت ، والله يداولها بين الناس "[١٠] ، وهذا يعني أن كلا الجذرين يسهمان في الحركة والتنقل ، سواء في الحال ، أو المكان .

ثانثا : التداولية مفهوما

يجدر التنبيه ــ كمدخل إلى هذا الموضوع ــ أن هنالك اتجاهين فيما يتعلق بالتشكيل المفهومي للتداولية : اتجاه (المقصدية) وعليه فلاسفة اللغة مثل سيرل وغرايس ، والاتجاه الآخر هو اتجاه (الضمنية)، أو لسانيو التلفظ ، ويمثل هذا الاتجاه (ديكرو وأركيوني) ، وهو اتجاه مبني على وظيفة اللغة ماذا تعني ؟ [١١] .

هذه الاتجاهات تعود إلى جذور فلسفية في النظر إلى مفهوم التداولية ، ومن أي الزوايا ينظر إليه الباحثون في هذا المضمار ، فالتداولية تمثل أحد علوم اللغة الذي يبحث في كيفية اكتشافِ السامعِ مقاصدَ المتكلم والوقوف عليها، أو العلم الذي يبحث عن معنى المتكلم . وهذا التعريف مبني على أن للقول ثلاثة مستويات : المستوى اللغوي ، وهو الذي يُعنى بالمعنى المأخوذ من دلالة الكلمات ، والضمائم ، والتراكيب، والمستوى السياقي وهو الذي يتناول معنى الكلام في سياق محدد . وأما المستوى الثالث ، فهو المستوى التأويلي ، وهو يُعنى بالمعنى الكامن وراء الملفوظ ، وهو المسمى بـ (معنى المتكلم) [١٢] ، وهو ما ينتهي إليه البحث التداولي . وهذا التعريف هو بسط وتفكيك للتعريف الموجز للتداولية بأنها " دراسة اللغة في الاستعمال " ، وهو يشير إلى أن المعنى ليس متأصلا في الملفوظات وحدها ، ولا يرتبط بالمتكلم وحده ، ولا السامع وحدة ، بل صناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والمتلقي في سياق محدد : لغوي ، واجتماعي ومقامي وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما [١٣] .

يكاد يتفق اللسانيون أن التداولية تقوم على أربعة نظريات ، هي الإشاريات ، وأفعال الكلام ، والاستلزام الحواري ، والافتراض المسبق [١٤] . وما يعني البحث في هذا المقام هو أفعال الكلام.

الأفعال الكلامية:

كانت البداية الأولى التي عملت على بلورة الأفعال الكلامية هو اتجاه (مدرسة أكسفورد) التي وسعت من وظيفة اللغة ، وأنها لم تعد منحصرة في الوصف [١٥] ، إذ يرى (ج أوستين) أحد فلاسفة هذه المدرسة أن وظيفة اللغة لا تقتصر على تقرير الوقائع أو وصفها ، بل لها استعمالات متباينة ومتنوعة ، وهذا التنوع في الاستعمال يجعل من المعنى حصيلة للاستعمال نفسه ، فالاستعمال هو الذي يجعل

للملفوظ معانيَ متباينة تحتاج إلى قواعد تضبطها [١٦] ، فهناك قسم آخر للغة ليس تقريريا ولا قادرا على الوصف وهو الذي أطلق عليه (أوستين) (الأفعال الكلامية) (speech Act Theory) ، وهي تعني تلك الأفعال التي مصدر وجودها هو (الكلام) ، أو هي المنطوقات التي من شأنها أن تُوجِد لنا أفعالا ، فيما لو روعيتْ شروط الموفقية [١٧] ، فالفعل الذي يحمل في طياته القوة القولية ، والإنجازية ، والتأثيرية بمجرد صدوره من متكلم محدد في سياق محدد مع توفر شروط الموفقية سوف ينتج لنا أفعالا خارجية مغايرة لما عليه الملفوظ ، هذه الأفعال توحي بقصدية المتكلم [١٨] .

تعد نظرية الأفعال الكلامية (speech Act Theory) النواة الأولى للنظريات التداولية ، بل إن التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلامية [١٩] ، وهي جهاز مفاهيمي يرى أن جلَّ أفعال الإنسان مصدرها اللغة / الكلام ، فهي معنية بتحليل الأقوال التي تنجز أفعالا في الخارج كالوصية والإهداء والتهديد ، فمثلا قول أحدنا : (أوصي بأموالي إلى بعض المؤسسات الخيرية) ، أو(أهدي كتابي هذا إلى المكتبة العامة) ، فبمجرد صدور الفعل (أوصي ، وأهدي ، وأنذر) ضمن سياقات خاصة يتحقق وجودٌ للوصية ، والهدية ، والإنذار ، وتعد أفعالا تشغل حيزا من الوجود في العالم الخارجي [٢٠] . وهذا ما يرجح تسميتها بـ (الأفعال الكلامية ، أو أفعال الكلام) ، وقد يطلق عليها (الأفعال اللغوية) ولا يفرق بين التسميتين ، فاللغة غير قادرة على إيجاد شيءٍ ، ما لم تكن كلاما صادرا عن متكلم قاصد ، فالفصل بين الكلام واللغة أمر افتراضي ، فهي لا تتحقق إلا في مستوى الكلام وهو مظهر من مظاهر تحقق اللغة في الواقع [٢١] .

الوقف لغة واصطلاحا :

الوقف والابتداء لم يكن منحصرا في تلاوة القرآن الكريم ، بل معظم الكلام يحتاج إلى مراعاة أماكن الوقف والابتداء ، وفي هذا السياق يذكر أنه جاء وفد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليعلنوا اسلامهم ، فتكلم خطيبهم قائلا : "من يطع الله ورسوله (ص) فقد رشد ومن يعصمها {ثم توقف} ، فقال رسول الله .... الخطيب أنت ... كان ينبغي أن تصل كلامك ومن يعصهما فقد غوى ، أو تقف على : رسوله فقد رشد [٢٢] . فالوقف والابتداء أو الوصل والفصل بمعناه الأكثر شمولية هو فنٌ منظمٌ لديناميكية استعمال اللغة ، وإظهار مقاصد المتكلمين ، ولم يكن علما مستحدثا مع القرآن الكريم [٢٣] .

ـ **الوقف لغة** : الوقف في اللغة الكف والحبس ، قال الجوهري : " أوقفت عن الأمر الذي كنت فيه ، أي : أقلعت وحكى أبو عمرو بن العلاء أوقفت ، أي : سكت " [٢٤] .

ـ **الوقف اصطلاحا** : قال ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) " لما لم يكن القارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل بل ذلك كالتنفس أثناء الكلمة وجب حينئذ اختيار وقف

للتنفس والاستراحة وتعين ارتضاء ابتداء بعد التنفس والاستراحة وتحتم أن لا يكون ذلك مما يخل بالمعنى ولا يخل بالفهم ؛ إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد... " [٢٥] .

أما تعريف السجاوندي (ت٥٦٠هـ) للوقف فيبنيه على القصدية والتركيب النحوي ؛ إذ يقول : " فاللازم من الوقف : ما لم لو وصل طرفاه غير المرام وشنع معنى الكلام " ثم يضرب لذلك أمثلة لبعض الوقوفات التي تسبب تشويها للتركيب النحوي واستبعادا لقصدية المتكلم ، منها قوله تعالى : ((وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ)) البقرة آية /٨ ؛ إذ لو وصل بقوله تعالى : ((يُخَادِعُونَ اللَّـهَ)) ، صارت الجملة صفة لقوله (بمؤمنين) فانتفى الخُداع عنهم وتقرر الإيمان خالصا عن الخُداع"[٢٦]، والنص لا يقصد هذا .

الأفعال الكلامية / السيمياء والإنجاز

أولا ـ سيميائية الأفعال الكلامية / الوقف والابتداء

وضع علماء القراءات سيمياءً للوقفَ الاختياريَّ بحسب قوته الإنجازية على مستويات متراتبة ، هي الوقف التام ، والأتم ، والوقف الكافي ، والأكفأ ، والوقف الحسن ، والأحسن ، والوقف القبيح ، والأقبح ، ويلاحظ في هذا التصنيف أنهم وضعوا لكل قسم اسما له وسيمياءً تؤشر على مسماه ، جعلوا منها قواعد تضبط الاستعمال اللغوي للنص القرآني ، وقد يراعى فيه الجانب الجمالي ، قال ابن الجزري : " وهو الذي يحسن في القراءة ويروق في التلاوة " [٢٧] .

١ـ سيمياء الوقف التام : هو الوقف على كلام تم معناه ، وليس متعلقا بما بعده ، لا لفظا ، ولا معنى ، وأكثر ما يكون هذا الوقف في رؤوس الآي ، وانتهاء القصص ، ولا يمنع ذلك من الوقف في وسط الآية ، وقبل نهايتها بكلمة ، وبعدها بكلمة ، فالمُحَدِّد ـ عندهم ـ هو تمام الكلام الحامل لقصدية النص القرآني ، وإن حصل ذلك في وسط الآية ، وضربوا له أمثلة ، منها الوقف على كلمة (جاءني) من قوله تعالى : ((لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنْ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي)) ، يرى ابن الجزري أن في هذا الوقف تمام حكاية الظالم التي يرويها عنه القرآن الكريم ، مع أنه وقفُ في وسط الآية ، وأما نهايتها ففي قوله ((وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً)) الفرقان / آية ٢٩ [٢٨] .

٢ـ سيمياء الوقف الكافي : ويكون على نهاية كل ملفوظ متعلق بما بعده من جهة المعنى دون اللفظ ، ويكثر في الفواصل وغيرها ، كالوقف على (ينفقون) ، وعلى (من قبلك) من قوله تعالى : ((... وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣)وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ...)) البقرة / آية ٣و٤ [٢٩] . نلاحظ

أن ابن الجزري اختار الوقف على (ينفقون) وهو نهاية آية ، وعلى (من قبلك) قبل أن تنهي الآية . ما يعني أن رأس الآية غير ملزم في الوقف .

٣ـ سيمياء الوقف الحسن : عدّوا هذا الوقف حسنا في نفسه يجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده ؛ لأن ما بعده متعلق لفظا بالموقوف عليه ، وذكر ابن الجزري أمثلة له ، منها الوقف على ((بِسْمِ اللَّهِ)) ، وعلى ((الْحَمْدُ لِلَّهِ)) ، وعلى ((رَبِّ الْعَالَمِينَ)) الفاتحة آية ١و٢، وهذا الوقف كثير في القرآن الكريم ؛ لوجود الارتباط اللفظي بين الموقف عليه وما بعده [٣٠] .

٤ــ سيمياء الوقف القبيح : وهو أن تقف على كلام لايتم المعنى به ، بل يتعلق بما بعده لفظا ومعنى ، كالوقف على ((بِسْمِ)) من قوله ((بِسْمِ اللَّهِ)) ، وعلى ((الْحَمْدُ)) من قوله ((الْحَمْدُ لِلَّهِ)) ، وهكذا [٣١] ، يبدو أن وصف هذا النوع من الوقف بالقبح ؛ لأنه يشوه النص ويخفي قصدية المتكلم .

ثانيا ــ إنجازية الأفعال الكلامية ــ الوقف والابتداء / في المقاصد والتراكيب

الوقف هو فعل كلامي انجازي مؤسساتي ؛ لتوفر معظم شروط الموفقية فيمن يتصدى له ، وهذه الإنجازية تفرضها القصدية سواء على مستوى البنية العميقة للنص ، أو البنية السطحية ، قال السخاوي : " ففي معرفة الوقف، والابتداء الذي دونه العلماء تبيين معاني القرآن العظيم، وتعريف مقاصده، وإظهار فوائده " [٣٢] . فإنجازية الفعل الكلامي تساعد على الكشف عن مقاصد النص .

أ ـ إنجازية المقاصد

الفعل الكلامي الإنجازي هو عمل ينجزه المتكلم بملفوظات معينة ويترجم الكلام بأفعال لها وجود في العالم الخارجي كتلك التي يوجدها التحذير والوعد والشكر والتهديد والأمر ، بمعنى : " أن نقول هو أن نفعل شيئا " [٣٣] ، فالأفعال الكلامية المتمثلة في الوقف والابتداء تدفع بالقارئ إلى تحري قصدية النص القرآني . ومن الأمثلة على ذلك :

١ــ ما روي عن أبي جعفر النحاس أن " أبا عبد الرحمن السلمي كان يستحب أن يقف على ((قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا)) ، ثم يبتدأ فيقول : ((هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَانُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ)) يس آية / ٥٢ ، أراد أن يفرق بين كلام الكفار وجواب الملائكة " ، فتكون الآية ليس من مقول القول (قالوا ...) ، وعليه فهي ليست من كلام الكفار وحدهم ، بل إنهم عندما يرون البعث والحساب ، يبهتون قائلين : (يَاوَيْلَنا...) ، فتجيبهم الملائكة (هَذَا مَا وَعَدَ ...) فيما أنذروكم به" [٣٤] . فلولا هذا الفعل الكلامي المتمثل في تحديد ما ينبغي أن يوقف عليه لما أمكننا مقاربة قصد المتكلم ، ولألتبس الأمر بين الحكايتين : حكاية الكفار وحكاية الملائكة .

٢ــ الوقف على (قيما) في قوله تعالى : ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا)) الكهف آية / ١ ، وإن كان رأس الآية ينتهي بـ (عوجا) ، ولكن الوقف يراعي قصدية المتكلم التي تكتمل بقوله (قيما) بعد نهاية الآية بكلمة واحدة ، فيكون القصد هو (أنزل الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا [٣٥] .

٣ـ الوقف على (عند ربهم) ، وإن لم تكن رأس آية ، من قوله تعالى : ((وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ)) الحديد آية / ١٩؛ لأن قصدية المتكلم تكتمل هنا ، وهذا بناء على رؤية مجاهد بأن تمام الكلام على (عند ربهم) ، وعليه تكون قصدية المتكلم اثبات كل مؤمن هو صديق شهيد ، كما يروى عن عمرو بن ميمون قال : " كل مؤمن صديق شهيد ثم قرأ (والذين آمنوا ...) " [٣٦] .

ولم يكن فعل الوقف وحده يعمل على كشف قصدية النص القرآني ، بل قد تتوقف على تحديد المكان الذي يبتدئ منه القارئ ، ومن ذلك ما روي عن الإمام علي (عليه السلام) أنه سُئِلَ عن قول الله عزَّ وجلَّ : ((وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً)) "وقد رأينا الكافر يقتل المؤمن ، فقال (ع) : اقرأ ما قبلها ((فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) " [٣٧] .

يلاحظ أن إنجازية الابتداء أيضا عملت على إظهار قصدية النص القرآني . وهذا يكشف عن إنجازية الوقف والابتداء وأهميتهما في إيصال قصدية المتكلم إلى المتلقي ، وبدونهما يكون النص مقطع الأوصال وبه يصعب الوقوف على مقاصد القرآن الكريم . وأما الوقف على رأس بعض الآيات المحددة بـ (سيمياء رقمي) ، فعدَّه علماء القراءات سنةً توقيفيةً ، ويستدلون برواية أم سلمة (رضي الله عنها) ؛ ورد عنها : " أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان إذا قرأ قطَّع قراءته آية آية يقول : (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ثم يقف ثم يقول : (الحمد لله رب العالمين) ، ثم يقف ثم يقول : (الرحمن الرحيم مالك يوم الدين)... " [٣٨] ، والرواية لم تستثنِ رؤوس الآيات التي لم يكتمل بها المعنى .

ب ــ إنجازية التراكيب

هذا المقترب الإنجازي يتناول الجانب التركيبي الذي يساعد المتلقي على فهم النص القرآني من جهته التركيبية ، النحوية ، والصوتية ، والجمالية .

ــ إنجازية التركيب النحوي : الفعل الكلامي بوجه عام هو فعل مؤسساتي له سلطته الإنجازية والتأثيرية ، وأما هنا فمستند فعل الوقف هو المؤسسة التركيبية النحوية ، فمرجعية الوقوفات تنحصر في البعد التركيبي، وإن ترتب عليها محاذير أخرى ففي معظمها تعود إلى التراكيب . رصد علماء اللغة والمفسرون عددا من هذه الوقوفات ، ومن بينها :

١ــ الوقف على كلمة (ولد) من قوله تعالى : ((سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ)) ، وهو فعل كلامي إنجازي يسعى للحفاظ على قصدية النص من البعد التركيبي ، قال السجاوندي " فلو وصل به : ((لَهُ مَا فِي

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)) النساء آية / ١٧١ ، وحرف الجر المتصل بالمنكر وصفٌ له ، فيصير المنفي ولدا له ... والمراد نفي الولد مطلقا " [٣٩] .

فلولا إنجازية الوقف هنا لحصل لبسٌ في التركيب ، ولم تصلنا قصدية النص أو تصل بصورة مشوهة .

٢ــ الوقف على كلمة (بالحق) من قوله تعالى : ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ)) ، وهو فعل إنجازي تأثيري يؤدي إلى فصل هذا المقول عما بعده الذي هو ((إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا)) المائدة آية / ٢٧ ، والمؤسس لهذا الفعل الإنجازي هي السلطة التركيبية المتمثلة بالظرف (إذ) ، فلو صل بما بعده لكان ظرفا لـ (اتلُ) ، وبه يختل التركيب فلم يفهم قصد المتكلم . قال السجاوندي : " فلو وصل (إذ) صار ظرفا لقول (واتلُ) فيختل المعنى بل عامل (إذ) محذوف ، أي : اذكر (إذ) " فيكون المعنى هو طلب التلاوة في الوقت الذي قربا فيه قربانا والنص لا يقصد ذلك قطعا لاستحالته .

٣ــ الوقف على كلمة (قالوا) من قوله تعالى : ((وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا)) وهو أيضا فعل انجازي وراءه السلطة التركيبية المتمثلة بعلاقة المفعولية بين مابعد الموقوف عليه وما قبله ؛ إذ إن قوله : ((بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ)) لولا إنجازية الوقف لكان مقول القول ، فيكون (بل يداه ...) مقولا لليهود وهو بعيد عن مقاصد النص ، قال السجاوندي : " ومن ذلك ما يجعل الوصل ما بعده من المقول الأول ، وإنما هو اخبار مستأنف... " [٤٠] .

ــ **إنجازية التركيب الصوتي** : قد يلجأ المتكلم أو قارئ القرآن إلى الوقف على كلمة ؛ لإظهار صوتٍ ما وإثبات استقلاليته وفصله من غيره [٤١] ، وتعود السلطة الإنجازية في هذا الوقف إلى المؤسسة الصوتية ، وقد وقف علماء القراءات على أماكن في القرآن الكريم ، فكان من بينها : الوقف على (مَنْ) عند قراءة قوله تعالى : ((وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ)) فلولا إنجازية الوقف لكانت الكلمتان كلمةً واحدة وصوتا واحدا هو : (مرَّاق) . ومنها الوقف على (بل) من قوله تعالى : ((كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) ، فلولا إنجازية الوقف لكانت الكلمتان كلمة واحدة (برَّان) [٤٢] ، وهذا يؤدي إلى تشويه الصوت وإلباسه دلالة غير دلالته ما يؤدي إلى ضياع قصدية المتكلم .

ــ **إنجازية التركيب الجمالي** : وهذا النوع من الوقف يمكننا تسميته الوقف (البراغماتي / النفعي) ؛ لما يعود على القارئ والمتلقي بالمنفعة وهي اقبال المتلقي عليه بالسمع ، والانصات ، وقد أطلق عليه بعض الباحثين وقف "التشويق" ، أي : إن هذا النوع من الوقف يؤدي إلى تشويق السامع ودفعه إلى المزيد من الإصغاء [٤٣] . وتطبيقات هذا النوع كثيرة في الكلام وتلاوة القرآن الكريم ، ومنها الوقف على : (الروم) ، و(سيغلبون) ، و(المؤمنون) من قوله تعالى : ((غُلِبَتْ الرُّومُ ، فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)) الروم آية ١ ، فالوقف على (الروم) يفسح المجال أمام المتلقي لطلب السؤال ، أين وقع هذا ؟ فيأتي الجواب (في أدنى الأرض) ، والوقف على (سيغلبون) ، يفتح المجال أمامه ليتساءل متى

ذلك ؟ فيأتيه الجواب (في بضع سنين) ، والوقف (المؤمنون) ، يجعله يتساءل (بماذا يفرحون؟) ، فيأتيه الجواب (بنصر الله) ، نلاحظ أن هذه المكاسب المتعددة والمشتركة بين المتكلم والمتلقي كان من ورائها إنجازية الوقف [٤٤] .

ولم تقتصر إنجازية الوقف والابتداء عند القراء والمفسرين على سلطة التركيب والمقاصد بل تتدخل في ذلك السلطة التشريعية وبناء الأحكام ، ذكروا أن كثيرا من الأحكام تتغير باختلاف القراءة ، ومحل الوقف والابتداء [٤٥] ، وساقوا لذلك نماذج كثيرة لا يسع المقام للوقوف عليها .

الهوامش:

١ ـ ينظر : التداولية من أوستين إلى غوفمان ٢٩ .
٢ ـ ينظر : التحليل اللغوي عند فلاسفة أكسفورد : ٤٩ .
٣ ـ ينظر : المرجع السابق ٣٠ ، ٣١ .
٤ ــ المرجع نفسه : ٣٩ .
٥ ــ التداولية من أوستين إلى غوفمان : ٤١ .
٦ ـــ المرجع نفسه : ٤٢، ٤٣ .
٧ ـ ينظر : الرؤية التداولية عند الفلاسفة المعاصرين وكيفيات تجاوز الجمود الراهن ، محمد أوبلوش : ٢٣٨ ، والتداولية مقدمة عامة ، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب ، مج : ١٤ ، ع : ١، خلف الله بن علي : ٢٢٣ .
٨ ــ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٥٢ .
٩ ـ ينظر : المرجع نفسه : ٥٢ .
١٠ لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١م) (د و ل) : ٢٥٢ .
١١ ـ ينظر : التداولية من أوستين إلى غوف مان : ١٥٠ .
١٢ ـ ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، د . محمود أحمد نحلة : ١٣.
١٣ ـ ينظر : المرجع نفسه : ١٤ .
١٤ ـ ينظر : المرجع نفسه : ١٥ .
١٥ ـ ينظر : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد : ٥٨ .
١٦ ـ ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، د . محمود أحمد نحلة : ٦١.
١٧ ـ ينظر : المرجع نفسه : ٦٣ .
١٨ ـ ينظر : المرجع نفسه : ٦٩ .
١٩ ـ ينظر : أفعال الكلام في نهج البلاغة / دراسة تداولية (رسالة) ، أحلام صولح : ٣٠ .
٢٠ ـ ينظر : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، صلاح إسماعيل عبد الحق : ١٨٣ .

٢١ ـ ينظر : في اللسانيات التداولية ، خليفة بوجادي : ١٢٣.

٢٢ ـ جمال القراء وكمال الإقراء : ٥٤٩/٢ .

٢٣ ـ ينظر : الوقف والابتداء على ضوء اللسانيات الحديثة ، أ. د. أحمد عارف حجازي : ٢٧ .

٢٤ ـ تاج اللغة وصحاح العربية (وقف) ، الجوهري (ت٣٩٣هـ) .

٢٥ ـ النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت٨٣٣هـ) ، أشرف على تصحيحه ومراجعته علي محمد الضباع : ١/ ٢٢٤ .

٢٦ ـ كتاب الوقف والابتداء لأبي عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي (ت٥٦٠هـ) ، دراسة وتحقيق : د. محسن هاشم درويش : ١٠٥ .

٢٧ ـ النشر في القراءات العشر : ١/ ٢٢٨، ٢٣١.

٢٨ ـ ينظر : المصدر نفسه : ٢٢٧/١.

٢٩ ـ المصدر نفسه : ٢٢٦/١ .

٣٠ ـ المصدر نفسه : ٢٢٦/١ .

٣١ ـ المصدر نفسه: ٢٢٦/١ .

٣٢ ـ جمال القراء وكمال الإقراء ، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ) : ٦٧٣.

٣٣ ـ التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، صلاح إسماعيل عبد الحق : ١٨٣ ، وينظر : تداولية المحضور اللغوي في القرآن الكريم (أطروحة) ، عاطف عبران : ٢٢ .

٣٤ ـ الوقف والابتداء على ضوء اللسانيات الحديثة : ١٢١.

٣٥ ـ ينظر : القطع والإئتناف : ١٤ .

٣٦ ـ المصدر نفسه : ١٤ .

٣٧ ـ المصدر نفسه : ١٥ .

٣٨ ـ النشر في القراءات العشر : ٢٢٦/١ .

٣٩ ـ كتاب الوقف والابتداء : ١٠٦ .

٤٠ ـ المصدر نفسه : ١٠٧.

٤١ ـ ينظر : مقاصد الخطاب القرآني بين الوقف والابتداء (رسالة) ، أحمد بوصبيعات : ٣٨ .

٤٢ ـ ينظر : النشر في القراءات العشر : ٣٣٠/١ .

٤٣ ـ المرجع السابق (رسالة) : ٤٠ .

٤٤ ـ ينظر : مقاصد الخطاب القرآني بين الوقف والابتداء (رسالة) : ٤٠ .

٤٥ ـ ينظر : الوقف والابتداء على ضوء اللسانيات الحديثة : ١٢٣.

المصادر والمراجع:

ـ القرآن الكريم

١ـ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، د . محمود أحمد نحلة ، دار المعرفة الجامعية ، ط١ ، ٢٠٠٢م

٢ـ تاج اللغة وصحاح العربية (و ق ف) ، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ) ، تح : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت/ لبنان ، ط٣ ، ١٩٨٤م .

٣ـ التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، صلاح إسماعيل عبد الحق ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت/ لبنان ، ط١، ١٩٩٣م .

٤ـ التداولية من أوستين إلى غوفمان ، فيليب بلانشيه ، تر: صابر الحباشة ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا/ اللاذقية ، ط١، ٢٠٠٧م .

٥ـ جمال القراء وكمال الإقراء ج١ ، علي بن محمد السخاوي (ت٦٤٣هـ) ، تح : د . علي حسين البواب ، مكتبة التراث /مكة المكرمة ، ط١ ، ١٩٨٧م .

٦ـ في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، د . خليفة بوجادي ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط١ . ٢٠٠٩م .

٦ـ القاموس الموسوعي للتداولية ، جاك موشلر ـ آن ريبول ، تر : مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب ، مراجعة خالد ميلاد ، المركز الوطني للترجمة ، دار سيناترا ، تونس ، السحب الثاني ، ٢٠١٠م .

٧ـ القطع والإئتناف ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ) ، تح : د . عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي ، دار عالم الكتب ، السعودية / الرياض ، ط١ ، ١٩٩٢م .

٨ـ كتاب الوقف والابتداء لأبي عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي (ت٥٦٠هـ) ، دراسة وتحقيق : د. محسن هاشم درويش ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان / ارلأردن ، ط١ ، ٢٠٠١م .

٩ـ لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١م) ، المطبعة الميرية بولاق، مصر/ المحمية ط١ ، ١٣٣هـ .

١٠ـ النشر في القراءات العشر، ج١ ، محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت٨٣٣هـ) ، أشرف على تصحيحه ومراجعته علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت/ لبنان ، د . ط ، د . ت .

١١ـ الوقف والابتداء على ضوء اللسانيات الحديثة ، أ. د. أحمد عارف حجازي عبد العليم ، دار فرحة للنشر والتوزيع ، المنيا ، طبعة ٢٠٠٨م .

الرسائل والأطاريح:

١ـ أفعال الكلام في نهج البلاغة / دراسة تداولية (رسالة) ، أحلام صولح ، جامعة الحاج لخضر ـ باتنة / كلية الآداب واللغات / الجزائر.

تداولية المحظور اللغوي في القرآن الكريم (أطروحة) ، عاطف عبران ، جامعة العربي التبسّي ـ تبسّة / كلية الآداب واللغات / الجزائر، ٢٠٢٠ـ ٢٠٢١ م .

٢ـ مقاصد الخطاب القرآني بين الوقف والابتداء (رسالة) ، أحمد بوصبيعات ، جامعة أبي بكر بلقايد ، كلية الآداب واللغات / الجزائر .

المجلات:

١ـ التداولية مقدمة عامة (بحث) ، خلف الله بن علي ، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب ، مج : ١٤ ، ع :١.

٢ـ الرؤية التداولية عند الفلاسفة المعاصرين وكيفيات تجاوز الجمود الراهن (بحث) ، محمد أوبلوش ، مجلة التفاهم، السنة السابعة عشرة ، ٢٠١٩م .